جامعة الأنبار

كلية العلوم الاسلامية

السنة الدراسية: ٢٠٢٠-٢٠٢١م

اسم المادة: مناهج المحدثين اسم التدريسي: د. علاء كامل عبد الرزاق

القسم: الحديث وعلومه المرحلة: الثانية

المحاضرة رقم (٢) بعنوان: نبذة عن الامام البخاري وسبب التاليف.

مصادر المحاضرة: كتاب مناهج المحدثين للدكتور أمين القضاة و د. عامر حسن صبري.

من هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله تعالي. ولكن كان هذا المسلك يمكن أن يجمع أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم الواردة عنه بأسانيد صحيحة ثابتة إلى جانب تلك الأحاديث التي لم ترد بتلك الأسانيد الصحيحة .

فالبخاري سلك أيضاً المسلك الثاني وهو أن يفرد أحاديث النبي صلي الله عليه وسلم الصحيحة عن ما سواها ، وكان لذلك سبب وهو : أنه كان جالساً في مجلس شيخه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بإبن راهويه.

وكانت النفوس آنذاك تتشوف الى هذه النقطة التي أشرنا إليها ، زهي فرز صحيح سنة النبي صلي الله عليه وسلم عن ما عداها . فربما كان هناك شيء من التذاكر لهذه المسألة : من ينهض بهذه المهمة ؟

فتكلم إسحاق في مجلسه بهذا الكلام . فقال : لو أفردتم صحيح سنة النبي صلي الله عليه وسلم بالتصنيف كان البخاري. رحمه الله. قد وقع ذلك من نفسه قبل ذلك ، ورأى في ذلك رؤيا ، رأى أنه أمام النبي صلى الله عليه وسلم وبيده مروحة وهو يذب الذباب عن وجه النبي صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك لأحد المعبرين ، فعبر ها له بأنه يذب الكذب عن سنة النبي صلي الله عليه وسلم فلما ذكر شيخه إسحاق بن راهويه هذا الكلام قوي عزم البخاري. رحمه الله تعالي. في هذه المسألة ونشط في التصنيف .

وكان. رحمه الله. بلغ من الحفظ والإتقان درجة حسد عليها في عصره ، وكانت ولادته. رحمه الله. في سنة أربع وتسعين ومائة ، وذلك في الثالث عشر من شهر شوال في تلك السنة ، وبالتحديد في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة .

وابتدأ يسمع الأحاديث على المشايخ الذين في بلده ، وأخذ يرد عليهم ، وينتقد الأخطاء في سن مبكر ، حتي إنه يذكر عن نفسه. رحمه الله. أنه كان عند شيخ له يقال له : الداخلي ، فذكر الداخلي إسناداً. عن سفيان أو عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقال البخاري : هذا خطأ ، أو الزبير لا يروي عن إبراهيم .

فأغلظ عليه العبارة شيخه هذا واسكته ، فأصر البخاري على مراجعة هذا الشيخ لأصوله . فدخل الشيخ ورأى الحديث ، ثم جاء للبخاري وقال : كيف هو ؟ قال : إنما هو سفيان عن الزبير وهو ابن عدي عن إبراهيم وهو النخعي ، فأبو الزبير الذي هو محمد بن يونس بن تادرس لا يروي عن إبراهيم . فأخذ شيخه هذا يصلح كتابة مما أملاه عليه البخاري .

لما سئل البخاري . رحمه الله . عن عمره آنذاك حينما رد على شيخه كم كان ؟ أجاب بأن عمره كان إحدي عشرة سنة .

وهذا السن بلا شك أنه يهيأ للإنسان أن يصل إلى هذه الدرجة إلا أن يكون نابغاً . وهكذا كان . رحمه الله تعالي . بل إنه لا يكاد ترك بلداً من البلدان لم يرحل إليها في طلب العلم ، ولكنه حينما كان يجلس عند الشيوخ لم يكن يكتب ، وكان بعض الطلبة ربما انتقده على هذا الصنيع ، فإذا رآهم يلحون عليه حتي إنهم في بعض الأحيان يصلحون كتبهم من حفظ البخاري .

وهو الذي يقول عن نفسه " رب حديث سمعته في البصرة وكتبته بالشام . "
لا يتفرغ للكتابة إلا بعد مدة مديدة ،، فهو يحفظ ثم يترك الكتابة بعد ذلك ، وربما أجل الكتابة إلى أن يصل إلى بلده " بخارى . "

تنبيه :

ومن القصص التي أوردها لأجل التنبيه عليها ، تلك القصة التي اشتهرت وانتشرت ، وفي الحقيقة الذهن يستبعدها ، وقد نكون مخطئين في الاستبعاد بسبب قصور فهمنا ، وعدم وجود من هو بهذه الصفة فيما بيننا ، ولكن . على كل حال . من حيث الإسناد الحديثي هي لا تثبت ، فإذا لم يثبت الإسناد لا نثبت المتن حتي يثبت الإسناد ذكروا أن . البخاري رحمه الله . عزم على الرحيل إلى بغداد ، وعلم به أهل بغداد فحينما علموا به استعدوا للقائه ، فشهرته كانت قد بلغت الآفاق ، وحفظه كان مضرب المثل ، فاستعدوا لرؤية البخاري هذا الذي يتحدث عنه ، ويذكر عنه من الحفظ مايذكر ، فحينما قدم عليهم كان بعض طلبة العلم استعدوا لامتحانه ليروا هل هو حافظ كما يذكر عنه أو لا ؟ .

فجمعوا مائة حديث ووزعوها بين عشرة منهم . كل واحد عشرة أحاديث . لكن هذه العشرة الأحاديث التي عنده لا يأخذها هكذا صحيحة سنداً ومتناً ولكن يأخذ متونها ، وأما الأسانيد العشرة التي عند التلميذ الآخر .

وتلميذ آخر مثله تماما : يأخذ متون أحاديث ويركب عليها أسانيد أحاديث عند تلميذ آخر ، وهلم جرا ، حتى قلبوا عليه المائة حديث ، فحينما قدم أخذوا يلقيون عليه كأنهم يسألونه سؤال التلميذ للعالم يلقون عليه هذه الأحاديث واحداً تلو الآخر ، وفي كل حديث يقول رحمه الله : لا أعرفه ، والناس يتعجبون من هذا البخاري الذي يتحدث عن حفظه إلى هذا الحد ، ولم يعرف حديثاً واحداً من هذه الأحاديث .

فحينما فرغوا من المائة أخذ يعيد عليهم ما أملوه عليه من طريق الخطأ ، ثم يرد الخطأ إلى الصواب ، فيشير إلى كل واحد فيقول : أما حديثك الأول الذي قلت فيه : كذا وكذا ، فصوابه كذا وكذا وكذا ، فإسناد حديثك هو الإسناد الذي عن فلان ، فرد المائة حديث التي قلبوها عليه .ردها إلى الصواب .

الحافظ العراقي .رحمه الله .لما أورد هذه الحكاية قال : أنا لا أعجب من رد البخاري الخطأ إلى الصواب ، ولكن أعجب كيف أن البخاري حفظ الخطأ من أول وهلة .

فهذه القصة أوردها الخطيب البغدادي في تاريخه من طريق بن عدي صاحب الكامل عن أشياخ له ، وإبن عدي لم يدرك البخاري ، وهؤلاء الأشياخ مبهمون ، والله أعلم هل هم ثقات أو لا ؟

وإن كانوا ثقات فهل سمعوه ، أو شاهدوا هذه القصة ، أو أخذوها عن غيرهم ؟ وهذا الغير هل هو ثقة ؟ وهلم جرا يتسلسل الأمر .

لذلك قلت : من حيث الإسناد فهي لا تثبت ، وأما من حيث المتن فعندي أن فيها شيئاً من الغرابة ، وهو الذي دعا الحافظ العراقي إلى إستغراب حفظ البخاري للخطأ من أول وهلة . وعلى كل حال مادام أنه يحفظ .رحمه الله .بهذه الصورة إلي هذا الحد الذي نذكره .

ثم إنه رحمه الله لما نشط على التأليف في هذه المسألة وهي تدوين صحيح سنة النبي صلي الله عليه وسلم كان .رحمه الله .يعتني بتدوين الحديث الذي يري أنه صحيح ، ومع ذلك يستعين بالله جل وعلا ويستخير في إثبات ذلك الحديث أو حذفه . فيذكر أنه ما دون حديثاً من الأحاديث إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ، ثم بعد ذلك يدون الحديث .

جامعة الأنبار

كلية العلوم الاسلامية

السنة الدراسية: ٢٠٢٠-٢٠٢١م

اسم المادة: مناهج المحدثين اسم التدريسي: د. علاء كامل عبد الرزاق

القسم: الحديث وعلومه المرحلة: الثانية

المحاضرة رقم (١) بعنوان: تمهيد وأبجديات مناهج المحدثين.

مصادر المحاضرة: كتاب مناهج المحدثين للدكتور أمين القضاة و د. عامر حسن صبري.

مفردات المادة المقررة في هذا الفصل:

١- نشأة التصنيف عند المحدثين.
٢- مناهج التصنيف عند المحدثين.
٣- كتب الصحاح، المستدركات على الصحيحين.
٤- الجامع الصحيح للبخاري، نشأته وشيوخه وتلاميذه ومناقبه، مؤلفاته وآثاره، منهج الإمام البخاري في الجامع.
٥- منهج الإمام مسلم، نسبه ونشأته وشيوخه، مناقبه ووفاته، مصنفاته وآثاره.

التعريف بمناهج المحدثين كعلم وبيان أهميته:

"مناهج المحدثين" مركب إضافي مكون من كلمتي "مناهج" مضاف و"المحدثين" مضاف إليه.

معنى مناهج: النهج الطريق الواضح ونهج الأمر وأنهج وضح ومنهج الطريق ومنهاجه، قال {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}.

ويقصد بالمحدث: من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع بين رواته، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميز في ذلك، عرف فيه خطه، واشتهر فيه ضبطه.

معنى "رواية": ويعنون به العلم المشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو وصف خِلْقي أو خُلقي أو تقرير.

ومعنى "دراية": يعنون به العلم المشتمل على قوانين وقواعد يعرف بها حال السند والمتن من صحة وحسن وضعف وعلوٍّ ونزول ورفع ووقف وقطع وكيفية التحمل والأداء ومعرفة صفة الرواية وحال الرواة، وغير ذلك.

أهمية دراسة مناهج المحدثين:

ودراسة مناهج المحدثين مهمة وضرورية لكل باحث في السنة أو مشتغل بها أو بالعلوم الشرعية، وذلك لأن هذه الدراسة تعطيه تصوراً ومعرفة بمراحل تدوين السنة من العهد النبوي وإلى العصر الحالي.

وايضاً تعرفه بالأطوار التي مرت بها السنة النبوية في هذه المراحل ومعرفة أثر السابق في اللاحق ومدى تأثر اللاحق بالسابق وإضافاته وزيادته لعمل السابقين.

وبدراسة مناهج المحدثين أيضاً تتعرف على مناهج كتب الحديث وعلومه وطرق التصنيف مما معه يعم النفع والاستفادة من هذه المؤلفات فيدون معرفة منهج الكتاب يتعذر عليك الوصول إلى الموضوع الذي تريد جمعة أو الحديث الذي تريد تخريجه.

وأيضاً إذا أرادت أن تؤلف مؤلفاً في السنة النبوية وعلومها فلابد من أن تكون عارفاً لمناهج المحدثين وطرق تأليفهم حتى تستطيع أن تستبين الطريقة التي تسير عليها في مؤلفك.

لكل هذا كانت هذه الدراسة مهمة ومفيدة ولا يستغني عنها طالب العلم.

١- نشأة التصنيف عند المحدثين:

لما جاء عصر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز .رحمه الله .رأى أن السنة يخشى عليها من الفوت ، وذلك بوفاة حامليها ، فيكتب الى الآفاق يامرهم في تلك الكتب التي كتب إليهم بها أن يدونوا ما عندهم من ستة النبي صلفي الله عليه وسلم ، وما يضاف الى ذلك من آثارعن صحابته الكرام .رضي الله عنهم . ففعلوا ونهض بذلك بعض العلماء الأجلاء ، كمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري .رحمه الله تعالى . ودونت السنة ، ولكنه ندوين لم يتخذ طابع التصنيف على الموضوعات وإنما هو سرد ، فقد تجد حديثاً في الطهارة يتلوه حديث في النكاح يتلوه حديث في التفسير ، وهلم جرا . وكانت أيضاً تلك الأحاديث مشوبة ومخلوطة بما جاء عن الصحابة .رضي الله عنهم . من أقوال أو أفعال ، حتي جاء عصر طبقة أخري بعد ذلك .وإن كان بعضها ملحقاً بصغار التابعين كأبن جريح رحمه الله تعالى

لما جاء هذا العصر اتخذ التدوين والتصنيف طابعاً آخر فرتبت هذه الأحاديث على الموضوعات ، وبدأ التصنيف يتخذ شكلاً آخر . وهو من باب التفنن في التأليف .

فنجد كثيراً من علماء كانوا متعاصرين في وقت واحد أنهم سلكوا هذا المسلك ، كابن جريح ، ومحمد بن إسحاق ، والإمام مالك ، وحماد بن سلمه ، وسعيد بن أبي عروبة ، وسفيان الثوري ، ومعمر بن راشد ، وغير هؤلاء كثير ، كلهم ممن صنف على الموضوعات . ولكن هذه التصانيف أيضاً كانت تمزج الآثار الواردة عن الصحابة .رضي الله عنهم .بالأحاديث المرفوعة إلي النبي صلي الله عليه وسلم .

ولعلكم تلحظون في موطأ الإمام مالك ، وفي مصنف عبد الرزاق ، وفي مصنف ابن أبي شيبة . هذه الطريقة هي التي كانت سلكت في ذلك العصر ، إلى أن جاءت سنة مائتين للهجرة . ابتدأ العلماء يركزون على فرز الأحاديث عن الآثار الواردة عن الصحابة . رضي الله تعالى عنهم . فبعضهم رأى أن هناك ما يسهل حفظ تلك الأحاديث ، وذلك بجمع أحاديث الصحابي في موضع واحد غير مرتبة ، وهذا يسهل الحفظ ، لأن الإسناد يتكرر ، والمتون مختلفة .

فإذن سيركز على حفظ المتون ، والإسناد تقريباً واحد ، وإن اختلف فيختلف في بعض الطبقات ، أما طبقة الصحابة فهذا يقل فيه الحفظ الى حد كبير ، وتتلوه طبقة التابعين ، فربما كان التابعي مكثراً عن صحابي معين ، ولذلك يريح الحافظ نفسه من حفظ هذا الإسناد في الطبقة العليا ، فالصحابي والتابعي يتكرر معه في أحاديث عدة ، وربما أيضاً نزل الى طبقة أتباع التابعين .

فإذا الإختلاف يكون أكثر في طبقة المشايخ (مشايخ أولئك المصنفين) ثم في طبقة مشايخهم أيضاً. لكن هذا النوع من التصنيف وهو الذي يسمي (المسانيد) ، كان فيه شيء من الصعوبة على طلبة العلم ، وأيضاً كان المقصود منه حفظ السنة مجردة عن التفقه ، فرأى بعض الأئمة أن يسلك مسلكاً آخر في التصنيف مع التركيز على الأحاديث المرفوعة ، فرأوا إفراد أحاديث النبي صلي اله عليه وسلم وفرزها عن آثار الصحابة رضي الله عنهم والآثار الواردة عن التابعين ، ثم ترتيب هذه الأحاديث على الموضوعات الفقهية.

جامعة الأنبار

كلية العلوم الاسلامية

السنة الدراسية: ٢٠٢٠-٢٠٢١م

اسم المادة: مناهج المحدثين اسم التدريسي: د. علاء كامل عبد الرزاق

القسم: الحديث وعلومه المرحلة: الثانية

المحاضرة رقم (٣) بعنوان: عدد الاحاديث، وبعض مناهج البخاري في صحيحه.

مصادر المحاضرة: كتاب مناهج المحدثين للدكتور أمين القضاة و د. عامر حسن صبري.

عدد الأحاديث في صحيح البخاري :

ولما دون هذه الأحاديث في كتابه ، وكما نرى أنها بالمكرر بلغت سبعة آلاف ومائتي حديث وكسر ، وبغير المكرر كما يذكر الحافظ بن حجر بلغت ألفين وستمائة وحديثين فقط ، وهناك اختلاف في عدّ الأحاديث ، لكن ذكر الحافظ هذا في أحد أقواله .

هذه الأحاديث التي سواء بالمكرر أو غير المكرر انتقاها من ستمائة ألف حديث ، ولكن ليس المقصود بهذه الستمائة أنها ستمائة حديث مفردة ، كل حديث بإسناد وكل إسناد على متن الآخر ، بل المقصود من الستمائة ألف حديث أنها أحاديث بالتكرار ، فالحديث الواحد. أي المتن الواحد. قد يرد عن عدة من الصحابة ، نعتبره عنه حديثاً واحداً ، وفي الحقيقة أنهم يعتبرون بعدد أولئك الصحابة .

بل إن الحديث الواحد عن الصحابي الواحد قد يرد من طريق عدة من التابعين عن ذلك الصحابي ، ونحن نعتبره حديثاً واحداً ، وهم يعتبرونه عدة أحاديث بعدد أولئك التابعين ، بل من بعد التابعين ومن بعدهم . فالحديث الواحد ربما وصل إلى عشرين حديثاً أو أكثر من العشرين .

ثم أن هذه الأحاديث ليست مرفوعة للنبي صلي الله عليه وسلم فقط ، بل يخالطها أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة ، وربما التابعين .

فإذن هم يقصدون بالحديث الإسناد، والإسناد قد يكون مروياً به متن مرفوع للنبي صلي الله عليه وسلم أو أثر عن صحابي ، أو تابعي ، فلذلك لا نستغرب هذا العدد حينما يرد لأن المقصود هو ماذكر فقط .

وحينما خرج .رحمه الله. هذه الأحاديث من الستمائة ألف حديث لم يكن مقصودة أنه لم يصح عن النبي سوى هذا العدد ، ولكنه أراد أن يؤلف كتاباً مختصر في صحيح سنة النبي صلي الله عليه وسلم .

ولذلك ذكر أنه ترك الصحاح أكثر من هذا ، وترك الصحاح لحال الطول حتي لا يطول الكتاب ، أي أنه انتقى أصحة الصحيح عنده ، وإلا فإنه رحمه الله يصحح أحاديث لم يخرجها في كتابه ، والدليل على ذلك

أننا حينما نطالع في سنن الترمذي أو في (جامع الترمذي) . نجد الترمذي . رحمه الله . يقول : وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال : هو حديث عندي صحيح . أو حسن ، أو نحو هذه العبارات .

فإذن البخاري . رحمه الله . تصح عنده وتثبت أحاديث غير الأحاديث التي دونها في كتابه . الجامع الصحيح . ولكنه لم يخرج تلك الأحاديث إما رغبة عن الطول ، أو لكون تلك الأحاديث ليست على شرطه الشديد الذي اشترطه على نفسه في كتابه الجامع.

ولما دون هذه الأحاديث كان رحمه الله يركز كل التركيز على تجني الأحاديث التي يمكن أن يخالف فيها ، أي يخالفه العلماء فيها ، ولكنه قد يورد أحاديث معلولة فيخالفه بعض العلماء فيها ، لكن بعد أن يترجح له أن تلك العلة غير مؤثرة .

ولذلك لما صنف هذا الكتاب عرضه على بعض أئمة عصره كالإمام احمد وعلى بن المديني ، ويحيي بن معين كما يذكر ذلك العقيلي .

وإن كنت بودي لو وجدت كلمة العقيلي هذه أين هي ، فالعقيلي تلميذ للبخاري ، ولكن الحافظ ابن حجر ذكر هذه المقولة عن العقيلي ، والعهدة عليه .

يقول إن البخارى . رحمه الله . عرض كتابه على هؤلاء الأمة الثلاثة وغيرهم . فوافقوه على تلك الأحاديث سوى أربعة أحاديث خالفوه فيها .

يقول العقيلي : والقول فيها قول البخاري ، وهي صحيحة . فهل فعلاً لم ينتقد هؤلاء الأئمة المذكورين سوى هذه الأحاديث الأربعة فقط ، بمعني أنهم وافقوا البخاري على تلك الأحاديث كلها ؟ هذا ما يقتضيه كلام العقيلي ، والعلم عند الله . جل وعلا.

عرفنا في هذا إن موضوع كتاب البخاري إفراد الصحيح الثابت من سنة النبي صلي الله عليه وسلم وفرزه عما سواه من الأحاديث التي لا تثبت ، وهذا يمكن يستفاد من تسمية كتابه البخاري ، فإنه سماه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وسنته وأيامه) هذا اسمه الكامل . وإن كان اختصر إلى (صحيح البخاري) ، فهذه تسمية مختصرة فقط .

لما ألف رحمه الله هذا الكتاب لم يكن تركيزه علي الرواية . بمعنى أن يورد الأحاديث الصحيحة فقط مجردة عن أي شيء آخر ... لا ، وإنما كان له هم غير هذا وهو التفقه ، فرأى أن يجعل هذه الأحاديث الصحيحة مبوبة على الأبواب الفقهية بطريقة فيها استنباطات دقيقة ، بحيث إنها بمجموعها يمكن أن تشكل مذهباً للبخاري . رحمه الله . .

وهذا هو الذي حدث ، فنجد بعض العلماء حينما يناقش مسألة علمية من المسائل يقول : وهذا ما ذهب اليه البخاري . من أين عرف أن البخاري . رحمه الله . ذهب هذا المذهب ؟ عرف ذلك من خلال تلك التراجم التي يترجم بها على تلك الأحاديث التي يوردها في صحيحه .

ومع ذلك أيضاً فإنه لم يقتصر على هذه الأحاديث فقط ، ولكنه بما أنه يريد التفقه فإنه جمع لهذه الأحاديث غيرها ، فنجد أنه يورد الآيات (آيات الأحكام) ويوزعها بحسب تناسبها مع تلك الأبواب التي يبوب بها ، وبلا شك أن ثبوت القرآن لا نزاع فيه ، فإذا كأنه يجعل الآيات هذه أصلاً ، ثم بعد ذلك يورد ما صح من الأحاديث التي على شرطه ثم الأحاديث التي يوردها في المتابعات أو الأحاديث التي يوردها معلقة ، أو غير ذلك كالآثار الواردة عن الصحابة .رضي الله عنهم .

فإذن هو.رحمه الله .كان يعنى بالناحية الفقهية عناية شديدة حتى إننا لنجده في بعض الأحيان يورد باباً من الأبواب ولايورد تحته شيئاً من الأحاديث ، وربما وجدنا في الباب الواحد أحاديث كثيرية ، وربما وجدنا أحاديث قليله ، بل لربما ما وجدنا في الباب الواحد سوى حديث واحد ، وربما لا نجد في الباب حديثاً إطلاقاً ، وهذا الباب الذي لانجد فيه آية من كتاب الله ، وقد لا نجد فيه آية من كتاب الله ، وقد لا نجد أيضاً آية من كتاب الله وإنما يبوب مجرد التبويب ، وربما أورد شيئاً من المعلقات .

والمقصود بالمعلق الأحاديث أو الآثار التي يحذف أول سندها وربما كامل الإسناد ، أي لو أن البخاري رحمه الله عنده حديث من الأحاديث يرويه بسنده عن شيخه وشيخ شيخه وهلم جرا .حتي يصل الى النبي صلي الله عليه وسلم . ، ولكنه لايرى أن هذا الحديث على شرطه أى ليس بالدرجة التي يريدها من الصحة ، فنجد البخاري رحمه الله ربما حذف شيخه وعلق الحديث بشيخ شيخه .

فيقول مثلاً : قال سفيان بن عيينة ثم يذكر باقي الإسناد والحديث .وهو لم يسمع من سفيان بن عيينة . ، فسفيان بن عيينة بينه واسطة ، وربما كانت الواسطة على بن المديني أو الحميدي أو غيرهم .

وربما حذف من هو فوق شيخ شيخه حتى لربما لم يذكر إلا الصحابي ، بل لربما حذف الصحابي أيضاً فيقول : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم .كذاً .، أو يؤثر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أو يؤثر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم . هذا هو المقصود بالتعاليق . وسنأتي إن شاء الله للحديث عنها بعد قليل .

فالشاهد أنه في بعض الأبواب يورد هذه الأحاديث أو الآثار المعلقة ويخلي الباب من الأحاديث ، لماذا يصنع البخاري هذا الصنيع ؟ ... هناك من رأى أنه يصنع ذلك عمداً لسبب آخر .

فبعضهم يرى أن البخاري .رحمه الله .حينما لا يورد في ذلك الباب حديثاً بالسند المتصل إنما يصنع ذلك للإ شارة إلي أن هذا الباب لا يثبت فيه شيء .هناك .من ذهب إلى هذا المذهب .أراد هذا ، لأن تلك الأبواب قد يكون فيها شيء ثابت وصحيح ، بل إن البخاري ربما صححه في خارج الصحيح ، فالجزم بأن هذا هو مراد البخاري فيه شيء من التعسف ، ولكن قد يصنع هذا أحياناً .

وقد يكون أخلى الباب من الأحاديث لكونه فقد الأحاديث التي على شرطه أو الأحاديث التي سمعها مما يمكن أن يستدل به في ذلك الباب ، ولذلك ربما اكتفى عن ذلك بآيه أو بأشياء معلقة .

وحينما نجد البخاري .رحمه الله .يأتي ببعض الأبواب هكذا مجردة عن أي حديث وعن أي آية وعن أي آثار معلقة أيضاً ، وإنما يبوب باباً مجرداً فقط فيقول : بابا كذا وكذا. ويذكر المسألة ثم ينتقل الى باب آخر .

ذكروا أن بعض النساخ حينما وجد هذه الأبواب هكذا صنع صنيعاً غير مستحسن ، فبعض الأبواب التي بهذه الصورة يعقبها البخاري : باب حدثنا فلان ، قال : حدثنا فلان ، وهكذا يورد الحديث أي أنه عكس الصنيع السابق ، فهناك يذكر ترجمة الباب ، وهنا لا يذكر ترجمة ، وإنما يذكر الحديث ، فيأتي بعض النساخ فيجعل هذا الحديث تحت ذلك الباب ، وهنا يقع الإشكال على كثير ممن يريد أن يذكر مناسبة الحديث للباب .

فهناك طائفة من العلماء اعتنوا .وبخاصة الشراح .حينما يأتون على الباب الذي يبوب له البخاري . يذكرون مناسبة ذلك الحديث لذلك الباب ، أي لأي شيء أورد البخاري هذا الحديث ، ويذكرون تعلق الحديث بتلك المسألة ، ولكن في بعض الأحيان يعييهم ذلك الحديث ، فلا يجدون له وجها من المناسبة لتلك الترجمة ، فبعضهم يكون ممن برع في علم الكلام ، فتجد عنده من التكليف في التأويل ما تجد في محاولة ذكر مناسبة ذلك الحديث بتلك الترجمة .

ولكن إذا عرفت هذه المسألة .كما يقول الحافظ بن حجر .: يمكن أن يفزع إليها عند الحاجة ، إذا أعيانا ذكر مناسبة ذلك الحديث لذلك الباب يمكن أن نقول : لعل هذا من تصرف النساخ . فلعلهم دمجوا ترجمة بحديث ليس تحتها .

ثم إننا حينما نجد تلك الأحاديث التي يوردها البخاري .رحمه الله .تحت تلك الأبواب نجد أنه تنقسم الى قسمين : فمنها أحاديث مناسبتها ظاهرة كل واحد يدركها ، فحينما يبوب البخاري مثلاً باباً في الطهارة ويورد حديثاً في الطهارة ، فالمناسبة ظاهرة ولا تحتاج الى تكلف ، ولكن في بعض الأحيان تكون المناسبة خفيفة ، لا يدركها إلا الحداق ، وربما كان مقصود البخاري أمراً آخر .

ولعلكم تلحظون أن أول حديث أودعه البخاري في صحيحه هو حديث :" إنما الأعمال بالنيات " وأورده في كتاب بدء الوحي . فأول كتاب استفتح به البخاري كتابه هو بدء الوحي وأورد فيه هذا الحديث " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى ..." إلى آخر الحديث .

فنجد أن الحديث لا تعلق به ظاهراً بهذا الباب ، فهل البخاري حينما أورد هذا الحديث لم يكن مستحضراً لأمر آخر أورد هكذا جزافاً ؟

هناك من تطاول على البخاري وكما يقول بعض الشراح : صوب إليه سهام اللوم .لإيراده هذا الحديث في هذا الكتاب ولكنه غفل عن أمر أراده البخاري .رحمه الله تعالى .

وهو أنه جعل هذا الكتاب بمثابة مجلس العلم مثلاً ، أو أي عبادة من العبادات التي يمكن بها الإنسان ربه جل وعلا ، والعلم عبادة . فيريد أن ينبه طالب العلم إلى مسألة مهمة جداً وهي ضرورة تجريد النية وإخلاص النية في طلب العلم .

فكأنه يقول لك : أنتبه يا طالب العلم ، فأنت حينما تقرأ في كتابي هذا إنما تقرأ في حديث النبي صلي الله عليه وسلم ، وتتعبد الله جل وعلا بهذه الأحاديث ، وتريد العمل بها أو إفتاء الناس بها أو تحصيل العلم الذي هو في حد ذاته عبادة ، فهذه العبادات يشترط فيها أمران : الإخلاص والمتابعة .

فهو أراد أن يشير إلى الطرفالأول وهو الإخلاص فيقول لك :

قبل أن تبدأ في الطلب أخلص النية ، وجردها عن أي تعلق آخر . هذا هو الذي أراده البخاري .رحمه الله .حينما أورد هذا الحديث .

ولذلك كثر عند أهل العلم افتتاح كتبهم بهذا الحديث ، ومن المتأخرين السيوطي .رحمه الله .حينما أفتتح كتابه الجامع الصغير بحديث " إنما الأعمال بالنيات " ، برغم أنه حينما يفتتح بهذا الحديث سيدخل بالترتيب الأبجدي الذي أخذه على نفسه ، ولكنه صنع ذلك لنفس المقصد الذي أراده البخاري رحمه الله .

وأحياناً نجد البخاري .رحمه الله .في ترجمته يشير إلى أشياء يريدها ، فربما أراد بتلك الترجمة تخصيص عموم حديث ، أو تقييد إطلاقه ، أو الإشارة إلى خلاف في تلك المسألة ، وبخاصة حينما يورد الترجمة بصيغة الإستفهام .

فحينما يقول : باب ، هل يقال : كذا وكذا ؟ " مثلاً " هو لا يريد أن يجزم ، ولذلك لا تأخذ على البخاري أنه جزم بشيء في هذه ، ولكنه كأنه يقول لك : إن هذه المسألة خلافية ، وهو لم يجزم بأحد القولين ، بقوله : " بابا : هل يقال كذا وكذا " ؟ .

فإذن يمكن أن تفهم أن هناك طائفة من العلماء رأت أن ذلك يمكن أن يقال ، وطائفة أخرى رأت غير ذلك ، لذلك قال العلماء : إن فقه البخاري .رحمه الله .في تراجمه .